

سوريا: لا للحوار نعم للمنتصر

غسان عيد*

للشارع السوري. إن حواراً كهذا لن يلغي وجودية هذا الصراع الذي احتكم فيه طرفاه، أي المعارضة والنظام، للسلح وهو احتكام سبب وسيبب الكثير من الماسي للسوريين. لكن عدم وصول خيار المنتصر إلى خاتمته المنطقية، وهي الحسم بين منتصر وخاسر سيكون كارثياً على سوريا الدولة وعلى السوريين وليس العكس. بمعنى أن الحوار المنادي به اليوم في ظل الظروف الداخلية والدولية القائمة والتحكم الخارجي بمجريات الصراع سيجول سوريا إلى لبنان آخر، حيث فرضت التوازنات الدولية والإقليمية على اللبنانيين في خضم حربهم الأهلية حلاً توج باتفاق الطائف. هذا الاتفاق الذي يرد الآن بعض الدبلوماسيين إمكانية بحث شبيه له في سوريا (طرح روسيا فكرة إقامة طائف سوري).

إن طائف لبنان لم يفض إلى قيام دولة قادرة قوية يطالب بها الأفرقاء اللبنانيون جميعاً حتى اليوم. هكذا دولة لربما كانت ستبترر الدماء التي سالت في الحرب الأهلية اللبنانية التي دفع ضريبتها المواطن اللبناني. المواطن الذي يدفع اليوم ضريبة عدم وصول الحرب إلى نتيجة توزع بموجبها اللبنانيون بين غالب ومغلوب، وهو ما ترك البلد على حافة الحرب وفقاً لتطور الصراع بين طرفيه.

* صحافي سوري

بين «ثورة في مواجهة نظام ديكتاتوري فاسد» أو «دولة في مواجهة مجموعات إرهابية مسلحة»، بل يتعداه إلى اصطفايات إقليمية ودولية خلف كل من طرفي الصراع اللذين وإن كانا يحتلان الواجهة، إلا أنهما الأقل قدرة على التحكم بمجرياته وهي مفارقة مهمة في صراع يعتبر وجودياً بالنسبة إلى أطرافه الداخلية (بمعنى عدم إمكانية تعايش أطرافه معاً في نظام سياسي واحد)، وأقل وجودية بالنسبة إلى أطرافه الخارجية. ويعطي ذلك إمكانية لحل وسط بين الأطراف الخارجية، بينما لا توجد مثل هذه الإمكانية بالنسبة إلى الأطراف الداخلية. لذلك، فإن حواراً يحمل نوعاً من الندية بين طرفي الصراع الداخليين (معارضة - نظام) على الأغلب لن يبنأى إلا بضغط خارجي، وسيكون مبنياً على التوازنات الدولية التي ستشكل ثقل الأطراف المتحاورين وليس تمثيلها



مقاتلان من المعارضة قرب حلب (زين كرم - رويترز)

يشغل الحوار بوصفه الحل الوحيد للصراع في سوريا مكاناً متقدماً في تصريحات أطراف الصراع والمنظرين فيه، والمنظرين والمتابعين له، وإن كان بدرجات متفاوتة وبشروط مختلفة. ويرى الأفرقاء أن الحرب الدائرة الآن لن تلغي ضرورة هذا الحوار من منطلق أنه لا مكان لمنطق الغلبة بين مكونات الشعب السوري على اختلافها. ويزيد هؤلاء ليصبغوا على فكرة الحوار صفة المطلق باعتباره الطريق الحتمي لدولة قادرة قوية ديموقراطية لكل أبنائها. إن في هذا الطرح تجاهلاً لخلفيات الصراع وتطوره وأدبيات المتصارعين وميدانيات الصراع الذي بات دموياً تتضاءل معه معقولية أي حوار، رغم المبادرات الدولية في هذا المجال. إن الصراع في سوريا لا ينحصر في أنه داخلي

هدا الغلبة لا يعني أن يبدي المنتصر الخاسر بل أن يعطي هويته للنظام

بين «ثورة في مواجهة نظام ديكتاتوري فاسد» أو «دولة في مواجهة مجموعات إرهابية مسلحة»، بل يتعداه إلى اصطفايات إقليمية ودولية خلف كل من طرفي الصراع اللذين وإن كانا يحتلان الواجهة، إلا أنهما الأقل قدرة على التحكم بمجرياته وهي مفارقة مهمة في صراع يعتبر وجودياً بالنسبة إلى أطرافه الداخلية (بمعنى عدم إمكانية تعايش أطرافه معاً في نظام سياسي واحد)، وأقل وجودية بالنسبة إلى أطرافه الخارجية. ويعطي ذلك إمكانية لحل وسط بين الأطراف الخارجية، بينما لا توجد مثل هذه الإمكانية بالنسبة إلى الأطراف الداخلية. لذلك، فإن حواراً يحمل نوعاً من الندية بين طرفي الصراع الداخليين (معارضة - نظام) على الأغلب لن يبنأى إلا بضغط خارجي، وسيكون مبنياً على التوازنات الدولية التي ستشكل ثقل الأطراف المتحاورين وليس تمثيلها

أساساته وملاذ التشققات والشروخ جدرانه، تنهال تحديات عاتية لم تعد تتفع في صدها سياسة «النأي بالنفس». من بين تلك التحديات، ثمة استحقاقات داخلية دائمة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بها، ربما يكون أبرزها الانتخابات التنبؤية وما يليها من إعادة تشكيل السلطة التنفيذية وانتخاب رئيس جديد للجمهورية. تلك الاستحقاقات مرتبطة بمسألتين بالغة الأهمية والخطورة، وهما موقف لبنان الرسمي من الأزمة السورية المتبادية، وشرعية أو لاشريعة سلاح المقاومة، بل المقاومة. كما هو معروف، فإن نتائج الانتخابات في لبنان تتحدد وتظهر قبل الانتخابات لا بعدها، والاصطفايات الطائفية التي لها دور كبير في تحديد النتائج، تتعمق قبل الانتخابات لا بعدها. لذا، فإن سقوط هذا البناء المتداعي الذي اسمه النظام اللبناني سوف يكون قبل الانتخابات لا بعدها. فمن يملأ الفراغ؟

في هذا يختلف لبنان عن معظم أو عن سائر البلدان العربية الأخرى. فمؤسسة الجيش، كأبرز «بقايا» النظام القديم، سوف تكون معطلة بالتوازنات الطائفية التي تحكم «الصيغة» المنهارة. أما الحركة «الإسلامية»، فهي موزعة بدورها على الطوائف الإسلامية. إذاً، فإن كل بقايا النظام القديم الموزعة على الطوائف السياسية سوف تهب لملء الفراغ. كيف؟ هل بإعادة إنتاج النظام نفسه؟ هذا مستحيل في غياب معادلة خارجية لن تتوفر قبل أن ينجلي دخان الأزمة السورية المتبادية. إذاً عبر الحرب؟ نعم... إلا إذا استطاع شباب لبنان أن يستفيد من تجربة أولئك الذين تحذوا وتوحدوا في مصر خلف حمدين صباحي، ومن النجاحات التي يحققها أقرانهم في تونس في مواجهة «حركة النهضة» وبقايا النظام القديم.

لنفتش عن هذا «البطل»، في الجامعات لا في المؤسسات السياسية وهيكلتها اليابسة. في العمال... إن دروس تجربة عمال «سبينس» وعبرها غنية جداً وواعدة. في مؤسسات المجتمع المدني النظيفة وناشطيتها الميامين، هؤلاء سوف يصنعون القوة التي تجنب لبنان مأساة الحرب الأهلية، وتبني - لأول مرة - الدولة والمجتمع.

* نائب لبناني سابق، رئيس حركة الشعب

العائلية بين الواقع والخيال: آل الأمين نموذجاً

محسن الأمين*

التي ذلك هو ما يحصل الآن من استباحة للخطوط الحمر، واستهانة بتراثها وتاريخها، إذ تشهد صفحات الجرائد اتهامات وفصائح جعلت العديد من أبناء العائلة يطلبون عدم زج هذا التراث بعناوين بعيدة عن «الأمينية»، رغم استغلال البعض لها. إن منطقتنا الآن تشهد صراعاً حاداً يتعلق بالمصير، وخاصة أن استراتيجيات كبرى بدأت عملها لتنفيذ خطتها الجهنمية في أحداث الانقسامات وخلط الأوراق، مما أدى إلى عدم وضوح الرؤية والارتداء في أحضان تلك المخططات عند البعض. إن الصراع السياسي والعسكري في منطقتنا أصبح الآن واضحاً بين خطين، هما خط المقاومة وحلفائها في وجه القوى التي تريد السيطرة، وعلى رأسها الولايات المتحدة وحلفائها، أو اتباعها في منطقتنا. وهذا ما دفع البعض من العائلة إلى الدعوة للمهادنة والاعتدال والصداقة مع أميركا وعدم المخاطرة أو المجابهة معها، لكن هذا البعض تحول عن قصد أو غير قصد، إلى خير معين للخط الذي يريد شردمة الداخل. ففي آتون هذا الصراع لا يمكننا إلا أن نكون مع تاريخ عائلتنا وتراثها الوطني والفكري، وهذا لسان حال أغلب أبنائها، إذ إن العديدين منهم ناضلوا واستشهدوا وهجروا وقاوموا وأحرقت بيوتهم في سبيل قضية وطنية، فهم الأوائل، لا بل طلائع حركات التحرر العربي. وهذا ما دفع العديدين منهم إلى الاستغراب والتعجب في كتابات وتصريحات البعض، ورسم علامات استفهام كبيرة على هذا الصوت العالي لهم، الذي أطلقته أبواق أصدقاء أميركا المرئية والمسموعة. صحيح أن العمل الاجتماعي وأغراءات السلطة قد تبرز أخطاء

التي ذلك هو ما يحصل الآن من استباحة للخطوط الحمر، واستهانة بتراثها وتاريخها، إذ تشهد صفحات الجرائد اتهامات وفصائح جعلت العديد من أبناء العائلة يطلبون عدم زج هذا التراث بعناوين بعيدة عن «الأمينية»، رغم استغلال البعض لها. إن منطقتنا الآن تشهد صراعاً حاداً يتعلق بالمصير، وخاصة أن استراتيجيات كبرى بدأت عملها لتنفيذ خطتها الجهنمية في أحداث الانقسامات وخلط الأوراق، مما أدى إلى عدم وضوح الرؤية والارتداء في أحضان تلك المخططات عند البعض. إن الصراع السياسي والعسكري في منطقتنا أصبح الآن واضحاً بين خطين، هما خط المقاومة وحلفائها في وجه القوى التي تريد السيطرة، وعلى رأسها الولايات المتحدة وحلفائها، أو اتباعها في منطقتنا. وهذا ما دفع البعض من العائلة إلى الدعوة للمهادنة والاعتدال والصداقة مع أميركا وعدم المخاطرة أو المجابهة معها، لكن هذا البعض تحول عن قصد أو غير قصد، إلى خير معين للخط الذي يريد شردمة الداخل. ففي آتون هذا الصراع لا يمكننا إلا أن نكون مع تاريخ عائلتنا وتراثها الوطني والفكري، وهذا لسان حال أغلب أبنائها، إذ إن العديدين منهم ناضلوا واستشهدوا وهجروا وقاوموا وأحرقت بيوتهم في سبيل قضية وطنية، فهم الأوائل، لا بل طلائع حركات التحرر العربي. وهذا ما دفع العديدين منهم إلى الاستغراب والتعجب في كتابات وتصريحات البعض، ورسم علامات استفهام كبيرة على هذا الصوت العالي لهم، الذي أطلقته أبواق أصدقاء أميركا المرئية والمسموعة. صحيح أن العمل الاجتماعي وأغراءات السلطة قد تبرز أخطاء

وتصرفات قد تصيب المبدأ الأساس، وتجعل البعض يستغلها ويشير دائماً إليها لأهداف معروفة، لكن ذلك لا يعني اضعاف البوصلة، ألا وهي الخط الوطني المقاوم والمدافع عن شعبنا وأمتنا. قد يقول البعض ما لنا ولهم من هذا الضجيج الإعلامي، فلكل منا حريته وأرائه وعلاقته، ولا علاقة لرابطة الدم والقرابة بذلك، وتبصرت أفكار من ينتمي إليها. فنحن لسنا عشيرة يقودها شيخها، فالانتماء العائلي لا يرتبط بالضرورة بالتوجهات السياسية لأبنائها. بالتأكيد أن ذلك صحيح ومنطقي، شرط عدم استغلال البعض لتاريخ وتراث أغلب أفراد العائلة، وخصوصاً من كان لهم إسهامات كبيرة في إطار الصراع العربي الإسرائيلي، ولأهداف قد تستغلها قوى معادية لتشويه تلك الصورة الناصعة البياض. وقد أدى ذلك إلى التصدي لتلك الظاهرة وما هو المراد منها، كأنها في صراع مع المقاومة وحلفائها، مع أن الواقع عكس ذلك تماماً، وهذا ما دفع البعض إلى الكتابة في هذا المجال، وتبيان الحقيقة أمام الرأي العام.

* استاذ جامعي لبناني

تتميز عائلة الأمين بتنوعها السياسي والفكري، إذ كانت العلوم بشتى أنواعها، وخصوصاً الدينية والأدبية منها، رفيقة درب أبنائها. ولقد برز عبر التاريخ رجالا دين وفكر وشعراء وأدباء ومجتهدون كبار، كان لهم الأثر الكبير في عالما الإسلامي والعربي، حتى إن أحدهم قال «في كل بيت من بيوت هذه العائلة يوجد شاعر أو أديب أو رجل دين»، كما أنها قدمت الكثير من التضحيات والشهداء على مدى الصراع ضد الاستعمار العثماني

في آتون هذا الصراع لا يمكننا إلا أن نكون مع تاريخ عائلتنا وتراثها الوطني والفكري

والفرنسي، والتاريخ المعاصر في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي، وهذا مسجل ومعروف عند قراءة تاريخ منطقتنا، فالأسماء كثيرة ومعروفة، ولا مجال لذكرها كي لا ننسى أحداً، لدرجة أن الانتماء إلى هذه العائلة أصبح فخرأ لأبنائها، وهذا ما يشعر به هؤلاء عند التعريف عنهم لدى الآخرين، إذ يذكرون بعض رجالاتها وما لهم من إسهامات في التراث العالمي. قد يقول البعض لماذا التذكير بإسهامات وتراث تلك العائلة؟ لعل السبب الذي دفعنا

النجي محمد» (الروائي الجزائري كاتب ياسين) ومن مواصلة السكوت على الهيمنة الأورو - أميركية (الاقتصادية والسياسية) على بلدانهم. لذا لا يُدين من لن نبأ إلى إن وصفناهم بأحباب السلطان أنظمة بلدانهم القمعية ولم يثر احتلال العراق وأفغانستان في نفوسهم الغضب الذي أثارته فيها «الرسوم والأفلام المسيئة»، رغم أن الأميركيين والبريطانيين (وهنا نقتبس حديث متظاهر سوري ضد جرائم نظام بشار الأسد) «هانوا الرسول ورتب الرسول» وهم يقتلون العراقيين والأفغان بالآلاف.

ولا يقل تصوراً مجمل هؤلاء المنتمين للحرية الدينية تناقضاً عن معارضتهم لما يسمونه «الغرب». يطالبون الأمم المتحدة بتقنين حماية المقدسات الدينية، لكنهم يُمضون وقتهم في ذم مقدسات غيرهم ومهاجمة المسيحيين والبهائيين و«الفرق الإسلامية الهالكة» باقذع الألفاظ. يُنذرون باضطهاد مسلمي أوروبا وأميركا (وهم في ذلك محقون) ويستكثرون على الجرائم التي ترتكب بحق أبناء وطنهم غير المسلمين (والساکت على الجريمة كالمشارك فيها). يطالبون بحرية الدعوة الإسلامية في «دار الكفر» ويدعون إلى مناوئة كل دعوة غير إسلامية في «دار الإسلام». ما أشبه اليوم بالبارحة. حرية التعبير ذريعة لاستفزاز مئات الملايين من المسلمين المسالمين والدفاع عن المقدسات غطاء لتكليل الحريات (القليلة) في العالم الإسلامي وتعميق عزلة أقليته الدينية. هذا يحلم بـ«غرب» خال ممّا سمّاه السياسي الفرنسي برونو ميغري «الطابوز الخامس المسلم»، وذلك يحلم بعالم مسلم صاف، لا تشوبه شوائب الكفر والشرك. لا هذا فولتير زمانه ولا ذاك سيّصدقه «الغربيون» ممن يريد هدايتهم إذا قال لهم إن الإسلام ديانة سمحاء.

* كاتب جزائري